٤- العلم و التعلم

اِعلم يا بني ويا بنيتي أن العلم" أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طُلب وجَدّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله يُنمي على طالبه".(١)

فهو" أرفع مقام تطمح إليه الهمم، وأشرف غاية تتسابق إليها الأمم، فلا يخلص إليه الطالب دون أن يقاسي شدائد، ويحتمل متاعب.

ولا يستهين بالشدائد إلا كبير الهمة، ماضي العزيمة، وكان سعيد بن المسيَّب يسير الليالي لطلب الحديث الواحد، ورحل أبو أيوب الأنصاري عن المدينة إلى عقبة بن عامر وهو في مصر ليروي عنه حديثًا، فقدم مصر ونزل عن راحلته ولم يحل راحلته، فسمع منه الحديث وركب راحلته وقفل إلى المدينة راجعًا".(٢)

والعلم هو"الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيئ في العقل، والأول أخص من الثاني.

وقيل: العلم هو إدراك الشيئ على ما هو به.

وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه.

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي/ أدب الدنيا والدين / القاهرة المكتبة التوفيقية ص٤٥ .

(٢) نضرة النعيم٧/ ٢٩٨٤،٢٩٨٥.

وقيل: هو مستغن عن التعريف". (١)

وهو أفضل ما ينفقه الإنسان ويتصدق به، وأعظم ما ينتفع به الآخرون، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْمًا ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ** ". (٢)

لأنه ـ أي العلم ـ مما لا يُستغنى عنه، في أمور الدين والدنيا، وكل ما عداه فضل يمكن أن يُستغنى عنه، ولذلك قال الإمام أحمد:" الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس". (٣)

نعم يا بني، كل ما سوى العلم، وما يُعين على طلبه، ومذاكرته والانتفاع به لا قيمة له، أو له قيمة دونه.

تلك هي حقيقة العلم، وهذا هو قَدْره، ولا "يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل، لأن فضل العلم إنما يعرف بالعلم. وهذا أبلغ في فضله، لأن فضله لا يعلم إلا به. فلما عدم الجهال العلم الذي به يتوصلون إلى فضل العلم جهلوا فضله، واسترذلوا أهله، وتوهموا أن ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة، والطُرَف المشتهاة، أولى أن يكون إقبالهم عليها، وأحرى أن يكون اشتغالهم بها". (٤)

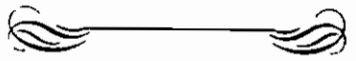

(١) التعريفات ص٢٤١.

(٢)رواه ابن ماجة .

(٣) ابن القيم الجوزية / مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩٨م ص٦٣

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٤٦

العلم النافع

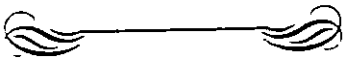

اعلم يا بني أنَّ ثَمَّ علم لا يضرك الجهل به، ولا ينفعك العلم به، ويكون الانشغال به مضيعة للوقت، وربما كان مغضبة للرب.

ولا يوجد علم ينطبق عليه هذا الحكم على إطلاقه، فبعض العلوم فيها ما يؤخذ منه وما يُعْرَض.

وإن طلبت مني تحديد هذا العلم فلا أستطيع، ولا يستطيعه أحد، ولكن هذا النوع من العلم الذي يستحسن تركه له ضابط وهو: أنه لا يعود بأي منفعة على صاحبه لا في الدنيا ولا في الآخرة، أو له منفعة يسيرة لا تتناسب مع الجهد المبذول فيه.

أما العلم النافع فهو" الذي ينبسط في الصدر شعاعه، وينكشف به عن القلب قناعه.

قلت: العلم النافع: هو علم القلوب، ومرجعه إلى تصفية القلوب من الرذائل، وتحليتها بالفضائل.

أو نقول: مرجعه إلى التخلية والتحلية". (١)

والعلوم الشرعية ـ وهي فرع من فروع المعرفة ـ جميعها علومًا نافعة، ولذلك حث الله تعالى عباده على تعلمها، والأخذ بها، وتعليمها للناس، لا على سبيل الفضل بل على سبيل الوجوب فقال الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٤٨٤ .

ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ [التوبة:١٢٢].

وهذه الفرقة المستنفرة تعلق بها الوجوب، ولولا استنفارها لتعلق الوجوب بالجميع.

وإذا كان النفع يعم غالب العلوم. وإذا كان هذا النفع هو ضالة الإنسان. وإذا كانت ـ كما قال نبينا ـ ﷺ ـ:" الكلمة الحكمة ضالة المؤمن. حيثما وجدها، فهو أحق بها". (١)

وإذا" لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها والعناية بأولاها، وأفضلها. وأولى العلوم، وأفضلها علم الدين، لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبجهله يضلون. إذ لا يصح أداء عبادة جهل فاعلها صفات أدائها، ولم يعلم شروط إجزائها.

ولذلك قال رسول الله ـ ﷺ ـ:"فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ " (٢). وإنما كان كذلك، لأن العلم يبعث علَى فضلَ العبادة، والعَبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة، فلزم علم الدين كل مكلف". (٣)

لأن" الجاهل لا تسوي عبادته شيئًا، بل هي فساد كلي، وظلمة كلية". (٤)

واعلم يا بني أن لا بد للعلم من خشية تمنعه من الذَلَل، فإن" قارنته الخشية فلك، وإلا عليك.

قلت: لأن العلم الذي تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة وأسبابها،

---

(١)رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة

(٢) رواه الحاكم في مستدركه من حديث حذيفة

(٣) أدب الدنيا والدين ص٤٧، ٤٨، ٤٩

(٤) عبد القادر الجيلاني / الفتح الرباني والفيض الرحماني/ القاهرة دار الريان للتراث ص٢٢٥

ويزهده في كل ما يشغل عن العمل به، ويرغبه في كل ما يقربه إلى ربه، فيكون عونًا له على الوصول إلى معرفة الله، والقرب من ساحة رضاه.

فإن لم تقارنه الخشية كان وبالًا عليه، لأنه حينئذ حجة عليه. لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل".(١)

وكان النبي ـ ﷺ ـ يقول:"اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ".(٢)

فضل العالم على غيره ...

اعلم يا بني أنه قد ثبت للعلم كل فضل، وأنه لا تعلوه منزلة، ولا يشبع منه طالبه كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ : مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لا يَشْبَعُ ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لا يَشْبَعُ ".(٣)

والفهم ـ الذي هو ذروة سنام العلم، والذي بدونه يكون العلم مجرد نص لا قيمة له، ولا فائدة منه، ويكون صاحبه كببغاء يردد مالا يعي ـ هو علامة إرادة الخير بالعالم والمتعلم من قبل الله تعالى قال النبي ـ ﷺ ـ: "مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ".(٤)

ولله در القائل:

تعلم فليس المرء يولد عالمًا ∴ وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ∴ صغير إذا التفت إليه المحافل

---

(١)إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٤٨٥
(٢) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة
(٣) رواه الحاكم في مستدركه من حديث أنس
(٤)رواه مالك وأحمد والبخاري وابن ماجة والدارمي من حديث أبي هريرة

وقال أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى : [١]

العالم العاقل ابنُ نفسه ∴ أغناه جنسُ علمه عن جنسه
كن ابن من شئت وكن مؤدَّبًا ∴ فإنما المرء بفضل كَيْسِه
وليس من تُكرمُه لغيره ∴ مثل الذي تكرمه لنفسه

فإن العالم لا يدركه طالب، ولا يسبقه متسابق، ولا يُقَارن به، ولا يُفاضَل عليه.

ولم لا يكون كذلك وهو:

البصير المبصر، و الهادي المهدي.

كاشف الشبهات، المنقذ من الضلال.

قوله هداية، ونصيحته ضياء.

حافظ الحق، والحارس لحدوده.

هو الأمير الذي يحتاج إليه كل أمير.

والملك الذي يعرف قدره الملوك.

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ولد بالبصرة العام ٢٢٣ هجرية كان أبوه وجيهًا من وجهاء البصرة، قال عنه أبو الطيب اللغوي: ابن دريد انتهى إليه علم لغة البصريين وكان أحفظ الناس، وأوسعهم علمًا، وأقدرهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر أبي بكر بن دريد . وقد تخرج على يديه كثير من العلماء والأدباء منهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب "الأغاني" وأبو الحسن المسعودي مؤلف "مروج الذهب" وأبوعبيد الله المرزباني مؤلف "معجم الشعراء" وأبو علي القالي مؤلف كتاب "الأمالي" والنهرواني مؤلف "الجليس الصالح"، وأخذ هو عن أبي حاتم السجستاني. توفي ببغداد العام٣٢١/ ٩٣٣م.

هو محل عناية الله تعالى في أرضه.

ولم لا وهو أهل خشيته؟ هو وحده.. هو وحده.

قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨].

هو أهل الفضل، وجماع الخير.

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ خَيْرَكُمْ مَنْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ أَوْ تَعَلَّمَهُ " .(١)

والعلم طريق يوصلك إلى الجنة، التي لا يدخلها أحد إلا بعد رضا الله تعالى عنه، وهو طريق ليس بالسهل الهين، حتى يسلكه الجميع، لأنه يستلزم همة عالية، وصبرًا جميلا، وقوة تحمل. وقد بذل العلماء السابقين كل طاقتهم وجهدهم في تحصيله، لينالوا من الفضل ما نالوه .

فَعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ،وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ .(٢)

---

(١)رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن حبان والدارمي من حديث علي

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ". (١)

وموت العالم مؤشر خطير على زوال العلم، واندثار الخير، وعلامة لقرب قيام الساعة، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا ". (٢)

وعن الضحاك قال: قال عبد الله بن مسعود: " اغْدُ عَالِمًا ، أَوْ مُتَعَلِّمًا ، وَلَا خَيْرَ فِيمَا سِوَاهُمَا ". (٣)

وَعَنْ مَكْحُولٌ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ وَالنُّونَ فِي الْبَحْرِ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ " . (٤)

من هو هذا العالم ؟

اعلم يا بني أنه ليس كل من تعلّم وعلّم صار له كل هذا الفضل، بل هو العالم الذي توفرت فيه شروط وصفات أخرى غير صفة العلم. متى توفرت استحق أن يوصف بكل فضل، وأن ينال خير الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) متفق عليه
(٣) رواه الدارمي.
(٤) رواه الدارمي.

فمن هو ؟ وما شروطه وصفاته؟

روى الدارمي عن ابن عمر قال: لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد من فوقه ولا يحقر من دونه ولا يبتغي بعلمه ثمنًا ".

وعنه عن مسعر قال: قال: سمعت عبد الأعلى التيمي يقول : من أوتي من العلم ما لا يبكيه ، لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه ، لأن الله تعالى نعت العلماء، ثم قرأ القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾إلى قوله تعالى : ﴿ يَبْكُونَ ﴾ .

وعنه عن أبي حازم قال: لا تكون عالمًا حتى يكون فيك ثلاث خصال: لا تبغي على من فوقك ، ولا تحتقر من دونك ، ولا تأخذ على علمك دنيًا".

وعنه عن أبي الدرداء قال لا تكون عالمًا حتى تكون متعلمًا، ولا تكون بالعلم عالمًا حتى تكون به عاملًا، وكفى بك إثمًا أن لا تزال مخاصمًا، وكفى بك إثمًا أن لا تزال ماريًا، وكفى بك كاذبًا أن لا تزال محدثًا في غير ذات الله.

وعنه عن عمران المنقري قال: قلت للحسن يومًا في شيء قاله: يا أبا سعيد ليس هكذا يقول الفقهاء.

فقال: ويحك ورأيت أنت فقيهًا قط ؟ إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة ، البصير بأمر دينه، المداوم على عبادة ربه.

وعنه عن علي بن أبي طالب قال: إن الفقيه حق الفقيه من لم يُقَنِّط الناس من رحمة الله، ولم يُرَخِّص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره. إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا

علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها".

وَعَنْ كَعْب قَالَ : إِنِّي لَأَجد نَعْت قَوْم يَتَعَلَّمُونَ لِغَيْرِ الْعَمَل ، وَيَتَفَقَّهُونَ لِغَيْرِ الْعِبَادَة ، وَيَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَة ، وَيَلْبَسُونَ جُلُود الضَّأن ، قُلُوبهمْ أَمَرُّ مِنْ الصَّبِر ; فَبِي يَغْتَرُّونَ ، وَإِيَّايَ يُخَادِعُونَ ، فَبِي حَلَفْت لأُتِيحَنَّ لَهُمْ فِتْنَة تَذَر الْحَلِيم فِيهِمْ حَيْرَان " . (١)

وعنه عن هرم بن حيان أنه قال: إياكم والعالم الفاسق. فبلغ عمر بن الخطاب فكتب إليه وأشفق منها ما العالم الفاسق ؟ .

قال: فكتب إليه هرم يا أمير المؤمنين والله ما أردت به الا الخير، يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، فيشبه على الناس فيضلون.

آداب العالم والمتعلم...

اعلم يا بني أنه لو كان لكل شيء آداب وضوابط، لكان العلم والتعلم أحوج الأشياء إليهما. التي لولاها ما كان ثَمَّ علم ينتفع به، ولا علماء نافعين.

فمن آداب طالب العلم...

١ـ أن تكون نيته خالصة لوجه الله تعالى، وأن يقصد من تعلمه نفع نفسه والناس، لا أن تكون لطلب رياسة، أو مكانة عند الناس، ولفت أنظارهم.

فَعَنْ ابْن عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ" . (٢)

---

(١) أخرجه الترمذي .

(٢) رواه ابن ماجة

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِتَصْرِفُوا وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ ". (١)

فالعلم أمانة في حفظه، وتبليغه على الوجه اللائق به، ولا يقوم بحقه إلا المخلصين.

وهو لا "ينفع إلا بالعمل به، والعمل لا ينفع إلا بالإخلاص فيه. كل عمل بلا إخلاص لا ينفع ولا يقبل من عامله.

إذا علمت ولم تعمل كان العلم حجة عليك". (٢)

٢ـ أن يقبل على طلب العلم دون شاغل عنه، وأن ينغمس فيه بكل جوارحه، وأن يعطيه كل وقته، ويبذل فيه كل طاقته.

وبغير ذلك فلن يجد طالب العلم من العلم إلا قشورًا، وقشور العلم كالجهل سواء.

إن عطاء العلم عزيز يا بني ولن تدرك منه شيئًا إلا بعد جهد مضني، هذا حظ المُجِدِّين فيه، فما بالك بالمقصرين عنه.

ولهذا قالوا: إعطِ العلم كلك، يعطيك العلم بعضه.

٣ـ على طالب العلم أن يُوثق صلته بالله تعالى، وأن يكون معه على طريق مستقيم ، لأن العلم نور وفهم، ولا بد لهما ـ وما أحوج الأمة إليهما ـ من طهارة الظاهر والباطن. وإلا صار حفظ وتكرار، دون استيعاب لما يُقرأ أويُكتب.

---

(١) رواه ابن ماجة والحاكم في مستدركه من حديث جابر بن عبد الله
(٢) الفتح الرباني والفيض الرحماني ص٢٢٥

ولأنه طريق إلى الله تعالى، فلابد للنفس أن تكون على استعداد.

٤ـ على طالب العلم" كذلك أن لا يتكبر على العلم، ويتواضع لمعلمه، ويُلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل، ويُذعن إليه إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، وإن كان معلمه أصغر منه سنًا، وأقل منه شهرة ونسبًا، فبالتواضع والصبر على ذل التعليم ينال العلم". (١).

٥ـ على طالب العلم أن يُعمل عقله فيما يحصل عليه من علم، وأن يفكر في كل ما يقرأ ويسمع. فما رفضه عقله لا يقبله، وما لم يستوعبه فكره لا يعمل به.

لأن العلم الزائف، والأقوال المضللة، والمذاهب المنحرفة، على نقيض العقل الراجح ، والفكر المستقيم، والفطرة السليمة.

وهذه الصفات الناقضة أبعد ما تكون لتصديق الخرافات والأساطير، والدجل والشعوذة، وتصديق القصص التي يرويها العامة عن المعجزات وخوارق العادات.

تلك التي تخدر العقول، وتعطل عملها. وتبعثر الأفكار البناءة ، ليحل مكانها كل فكر عقيم متخلف. وتفصل الإنسان عن واقعه، وتجعله يعيش حبيس أوهامه وأحلامه.

وتمحق كل حضارة قائمة أو ناشئة.

(١)أحمد فريد / البحر الرائق في الزهد والرقائق/ القاهرة المكتبة التوفيقية ٢٠٠٨ ص٤٣، ٤٤

آداب العالم :

ومن أهم آداب العالم

١ـ أن لا يبتغي بعلمه وتعليمه إلا وجه الله تعالى، وأن يُخرج من خاطره حب الرياسة، ولفت الأنظار، والتميز على الأقران.

وأن لا يكون أكبر همه من تعليمه الناس جمع المال، والتمتع بزينة الحياة.

٢ـ التواضع في نفسه والتواضع لمن يُعَلِّم والرفق به، وقد" روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: تعلموا العلم وتزينوا معه بالوقار والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولمن تعلمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فيذهب باطلكم حقكم". (١)

فينبغي" له أن يشفق على من يطلب منه العلم، ويعتني بمصالحه كما يعتني بمصالح ولده وبمصالح نفسه، وينبغي له أن يتواضع لمن يتردد عليه، ويتعلم منه، فعن أبي أيوب السختياني أنه قال: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لله عز وجل". (٢)

٣ـ الترفع عن الصغائر، وما يخل بالمروءة، ويقدح في مصداقيته عند الناس ، ولهذا" قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : تعلموا العلم، فإذا تعلمتموه فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك ولا بلعب فتمجه القلوب، فإن العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة". (٣)

---

(١)د فاطمة محجوب / الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية القاهرة دار الغد العربي ط الأولى ١/ ٣٢١ .

(٢) البحر الرائق في الزهد والرقائق ص٤٧ .

(٣) الموسوعة الذهبية١/ ٣٢١

٤ـ أن لا يكتم من العلم ما ينفع الناس، لأنه يُعرض نفسه للعنة الله تعالى وعذابه قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾. [البقرة: ١٥٩].

فكل ما يعطيه الله تعالى لإنسان يمكن أن ينتفع به وينفع به الآخرين لا يجوز كتمه، ولا عذر لأحد في كتمه، كأن يقول: الناس لا يعملون به، ولا يعتنون به، لا فائدة في تغير أحوالهم.

وهذا خطأ لأن دور العلماء التبليغ، والتبليغ فقط، أما إدراك هداية الناس ليس في وسع أحد ولا في طاقته، ولا حتى الأنبياء أنفسهم صلوات الله عليهم.

ولذلك كان دور الأنبياء هو التبليغ فقط ، أما هداية الناس فلا دخل لهم بها ، فهذا أمره إلى الله تعالى وحده قال الله تعالى:﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف١٠٣].

وقال تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص٥٦].

وقال تعالى:﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الغاشية ٢١، ٢٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ. والله يقول:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة ٦٧]. (١)

(١) رواه مسلم والترمذي.

وقد حذر النبي ـ ﷺ ـ كل من عنده علم ويكتمه الناس، لأن العلم أمانة، وكتمه خيانة، قال النبي ـ ﷺ ـ:"مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ". (١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ". (٢)

فتعلّم يا بني" واعلم وعَلّم، فإن ذلك مجمع لك الخير بأسره. إذا سمعت كلمة من العلم وعملت بها، وعلمتها غيرك، كان لك ثوبان، ثواب العلم وثواب التعليم.

الدنيا ظلمة والعلم نور فيها، فمن لا علم له فهو يتخبط في هذه الظلمة، ويُفسد أكثر مما يُصلح". (٣)

مراتب التعلم ستة وحرمان العلم بستة :

واعلم أن للتعلم ست مراتب:

أولها: حسن السؤال.

ثانيها: حسن الإنصات والاستماع.

ثالثها: حسن الفهم.

رابعها: الحفظ.

خامسها: التعليم.

---

(١)رواه ابن ماجة من حديث أنس بن مالك.
(٢)رواه أحمد وابن حبان.
(٣) الفتح الرباني والفيض الرحماني ص٢٢٦.

سادسها: وهي الثمرة.. العمل به ومراعاة حدوده.

وحرمان العلم يكون بستة أوجه:

أحدها: ترك السؤال.

الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع.

الثالث: سوء الفهم.

الرابع: عدم الحفظ.

الخامس: عدم نشره وتعليمه. فمن خزن علمه، ولم ينشره، ابتلاه الله بنسيانه، جزاءً وفاقًا.

السادس: عدم العمل به، فإن العمل به يُوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه، فإذا أهمل العمل به نسيه.

قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به.

وقال بعضهم: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه، وإلا ارتحل، فما استدر العلم واستجلب بمثل العمل به". (١)

وقال ابن مسعود:" من تعلم علمًا لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبرًا ".(٢)

---

(١) غذاء الألباب ص٤٣، ٤٤.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي/ الكبائر/ بيروت منشورات دار مكتبة الحياة١٩٩٠م ص١٦٧، ١٦٨.

obeikandl.com

من فوائد العلم :

١ـ به يُعرف الله ويُعبد ويُوَحَد.

٢ـ هو أساس صحة الاعتقادات والعبادات.

٣ـ طلب العلم عبادة.

٤ـ هو طريق الوصول إلى الجنة.

٥ـ يكسب صاحبه الخشية لله.

٦ـ يكسب صاحبه التواضع للخَلق.

٧ـ ينتفع به صاحبه وينتفع به غيره ممن علَّمه.

٨ـ يبقى أجره بعد انقطاع أجل صاحبه.

٩ـ يورث صاحبه أعلى المراتب بعد الأنبياء.

١٠ـ يرفع الوضيع ويُعزُّ الذليل، ويجبر الكسير.

١١ـ هو دليل حب الخير للآخرين لحرص صاحبه على إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم.

١٢ـ به تُوصَل الأرحام، وتُؤَدى الحقوق".[1]

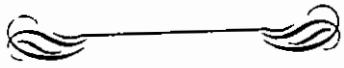

(١) نضرة النعيم٧/ ٢٩٨٢.

obeikandl.com